هل نحن أحياء
أم موتى
الجزء
الثاني
قروي عبد المطلب

هل نحن أحياء أم أموات

الجزء الثاني

بقلم:

قروي عبد المطلب

الكتاب: هل نحن أحياء أم أموات.

النوع: رواية.

تأليف: قروي عبد المطلب.

التنسيق الداخلي: مكتبة كُتوباتي.

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي.

www.kotobati.com

kotobati@gmail.com

إصدار 2021.

جميع الحقوق محفوظة.

الإهداء:

إلى كل من داعيه الفضول المعريفي والفلسفي، إلى كل من شق
الطريق مبحرا في حب التفكير، إلى كل من جعل من الفلسفة
اسلوب حياة، إلى عشاق رائحة الكتب، إلى عشاق العزلة، الذين
غذائهم الوحيد عقل وكتاب، إلى كل هولاء أهدي عملي
المتواضع.
"إليكما يا قرة العين":" أبي الغالي" بطلي الأوحد واستقامة ظهري
"امي الغالية" السند الحنون
إليكم عائلتي الثانية محمد هديل أحمد سارة وايوب وسلمى وآية
إلى كل الأحبة، هديتي لكم على شكل نصيحة، توارثوا العلم حبا
والتفلسف متنفسا.

المقدمة:

بينما أنت الآن تظن نفسك أتعس إنسان في الكون و أن لا حظ لك من الحياة سوى المشاكل و الخيبات .. هناك من سيسطو بعد قليل على بيت إحدى العائلات المستورة ، هناك من هو ممسك الآن بقارورة خمر ، أحدهم انتحر قبل دقائق و إحداهن الآن ترقص في أحد الملاهي ، هناك من يبيت في أحضان زوجته و والديه في دار العجزة ، هناك من يخطط لقتل أحدهم بعد قليل ، هناك من حُكِم عليه بالمؤبد قبل ساعة ، هناك أم تتمنى مجرد لقيمات تسكت بها أبنائها الذين يتضورون جوعا

أمور مرعبة تحدث الآن .. صحيح هناك الأفضل منك لكن أنت أيضا أفضل من الكثيرين .. فإطمئن ! دعونا نعود للوراء بين الاسطر قليلا إلى دار العجزة!!!، اين تبدأ قصتنا.....

جالس على الكرسي مقابل للبحر ، وفي أوج سرحي اتأمل السماء الزرقاء الصافية وعلى أنغام موج البحر وهو يضرب الصخر أمامي بكل قوته ، الهواء يداعب لحيتي البيضاء ويحرك عكازي الذي إقترحه علي طبيبي قبل شهرين أن أشتريه عندما احسست بآلام مفاجيئة أسفل ظهري وبسببها صارت ملازمتي أينما أذهب ، تريّحني من التعب والإرهاق ، وطمّأنني وهو يذكر إن الإنحناء المفاجئ شيء طبيعي مقارنة بتقدمي في العمر .. وفجأة قفزت بي ذاكرتي عندما كنت صغير ووقتها كانت امي دائما تأتي لهذا المكان لأجل تغيير جّوها وتشتت أفكارها لما ابي يعنفها على أتفه الأسباب ، لكن امي تأقلمت مع الأيام واستطاعت أن تعيش وتستمر في زواجها من ابي من أجلي انا ! ، لم أتجاوز الخمس سنوات وسط جهلي لكل مايدور حولي ، حتى معاناة امي مع ابي ، لكن كانت ردود فعلها وبالذات معي على العكس تماما ! ، لم أراها حزينة او متعكر مزاجها حتى يوم رغم كل شيء الذي يحدث من تعنيف لفظي وجسدي

صابرة وتستمد قوتها مني عندما تلعب على رأسي وتضمني لصدرها وتردد أنها لن ولم تقصر معي بأي شيء أو طلب أطلبه ، وفعلا كل شيء اقوله لها توفره لي رغم إنها لاتملك قرش واحد بجيبها ، وابي يعطيها مبلغ محدود يكفي اغراض البيت ، ورغم هذا كله لن انسى يوم أنقّصت المصاريف كي توفر لي محفظة مدرسية بعدما تمزقت محفظتي القديمة ، وكل الذي فعله ابي لما سمع بالموضوع ضربها أمام عيوني ونتج عنه كسر بيدها اليمين ، ورغم هذا كله قربت لي وأغمضت عيوني وبدأت تبكي بدون صوت كي لا أشعر ، وسط صرخات ووعيد ابي لها وهو يقول : لو تموتين لا يهمني انتي وولدك ، وبعد كم شهر وبشكل مفاجئ وجدت امي ابي متوفي اثناء ماكان يدخن علبة السجائر بشراهة وتسببت له بسكتة قلبية

وبعد ذلك اليوم عشت مع امي لوحدنا وقررت تشتغل وتصرف علي وعلى البيت حتى مشت الأيام وكبرت ، واذكر يومها عندما انهيت الثانوية العامة بتقدير ممتاز وجاء الوقت الالتحاق بالجامعة واحقق حلمي اخيرا بعد عناء وكفاح مع الحياة ، توجهت للبيت بملابس التخرج لكن لم يكن فيه أي احد ! ، ابتسمت وانا انادي امي مرات عديدة ولكن لا

رد منها ، خرجت من البيت واتجهت لذلك المكان بسرعة ، نعم البحر الذي جالس أنا أمامه الان ! ، كان مكان امي المفضل وتحب تجلس فيه بالساعات منذ أن كان ابي حيا حتى بعد وفاته وهو مكانها الوحيد الذي تلجئ له بعد بيتنا ، يبعد عن البيت مسافة ربع ساعة مشي ، مشيت حتى وصلت ولمحتها من بعيد على نفس الكرسي تتأمل البحر ، قربت لها وذكرت : أمي ، انا تخرجت وتم قبولي بالجامعة ، أمي الأيام السيئة ذهبت ، سيتغير كل شيء بحياتنا ، اخيرا الدنيا ضحكت لنا ، أمي ؟ ، لا إجابة ! ، قربت لها ، تناظر البحر بدون حركة ! ، ذكرت وانا مبتسم : ألم تملي من البحر وانتي تناظرينه كل يوم ياأمي ؟ ، و لا أي ردة فعل صادرة منها ! ، جلست بجنبها ولمست يدها ! كانت مثلجة ! ، حركتها بقوة ولحظتها ارتمت بين احضاني ! ووقتها عرفت إن امي توفت قبل أن ترى يوم تخرجي وتفتخر مثل كل مرة ، لم تكن عندي القدرة على البكاء لأنني لم أصدق الذي يحدث، وبعد أن تجمعوا الناس واسعفناها للمستشفى إتضح إنها متوفية و لها اكثر من ساعة بسبب ضعف وإنغلاق بأحد صمامات القلب ! ، ومن ذلك اليوم حتى هذه اللحظة وانا ازور المكان هذا شبه يومي ، نفس المكان ، نفس الكرسي ،

ونفس الجلسة والنظرة المطوّلة ناحية البحر ، الفرق الوحيد إن دمعتي نزلت وقت ماتذكرت كل هذه الأحداث التي صارت منذ سنوات طويلة ، مسحتها بشكل مستعجل واخذت نفس طويل والتفت لناحية ملاهي الأطفال الجانبية ،

وأراه منغمس ويلعب مع الصغار والذي كوّن معهم علاقة بريئة وصار يلعب ويركض معهم ، ابتسم لي من بعيد وأكمل لعبه ، راقبته من بعيد وبلحظتها قطع علي المشهد صوت إبنتي خديجة من ورائي وهي تذكر : نعم يا أبي ، اليوم ولأول مره تأتي مع حفيدك للمكان الذي لطالما تعودت تأتيه لوحدك ، لن أنسى حبك له بعد ماورثته من جدتي ، وبمزحة أكملت : يلزم أن يسجلون الكرسي هذا بأسم عائلتنا ، ابتسمت لها وقت ماقربت بجانبي وحطت رأسها على صدري ، ضممتها وأغمضت عيوني وقلت : لطالما تمنيت عندما كنت بالدار أن الرب يجمعنا مره ثانية ونأتي للبحر ونجلس جلستنا هذه، وتحقق الحلم ! ..

عدّلت جلستها ومدّت يدها لجيبها وسحبته ، فتحت الكاميرا وذكرت : يجب أن نوثّق هذه الصورة وبعدها نعلقها بصالون البيت لما نعود ، وأثناء اخذنا وضعية التصوير ، ركض ناحيتنا حفيدي أنس

وقفز لحضني ، وأخيرا اكتملت عائلتي المثالية وإلتقطت الصورة .

صوت رنّة رسالة صدرت من هاتف خديجة ، رفعته بفرحة ثم قالت : الآن وصلني رد سارة ، عزمتها على العشاء وردّت علي بالموافقة ،و ستنضم لنا الليلة ، فزّ قلبي عندما سمعت اسمها وإكتفيت أحرّك رأسي بالإيجاب إلى أن نهضنا ومشينا بإتجاه البيت ..

طول الطريق والفرحة تغمرني، متحمس وأفكر باللبس المناسب لأجل الليلة ، رغم إن سارة طوال السنوات الماضية تزورنا اسبوعيا ومتعود رؤيتها بدون إنقطاع ، لكن أحسست إن الليلة هذه ستكون مميزة بقلبي ! ، اكثر شيء كنت أهتم له هو لبسي ! ، ماذ ستلبس يا أدهم ! ، زي رسمي ؟ ، أو سروال قصير يبيّن ترهلات قدميك وقميص كئيب شبيه بحياتك ،لما تكون سارة بعيدة عنك، أو البنطلون الجديد الذي إشتريته من أجل النزهة المقررة مع حفيدك بعد أيام ؟ ، وبعد تفكير طويل بداخلي قررت ألبس البنطلون الجديد مع قميص ازرق وهو اللون الذي تفضّلة سارة ..

بعد كم ساعة وأثناء ماكنت متأهب بالصالون وبجانب النافذة أنتظرها تأتي ، وقفت سيارة طاكسي

أمام البيت ونزلت منها ملاكي بكامل أناقتها وأول مارفعت رأسها لفوق أقفلت الستارة بسرعة كي لا ابيّن لها إني اراقبها ، وقبل أن لا يرن الجرس فتحت لها الباب وابتسمت : ياهلا بحبيبتي سارة ، وذكرت : غريبة أين هو زوجك احمد لم يأتي معك اليوم ؟ ، بادرتني إبتسامة باهتة وقالت : ءءاا لم يستطع القدوم معي ، مشغول ! ، فسحت لها مجال ودخلت وتوجهت للصالون وجلست ، قلبي إنقبض وأحسست بشيء من الغرابة في تصرفاتها ! ، أقفلت الباب ومشيت ناحيتها ولما كنت سأتكلم قاطعتنا خديجة ببهجتها المعتادة وبعد أن سلّمت على سارة قالت : العشاء جاهز ، مشينا للطاولة ..

ليلة ساكنة ، الكل مهتم بالأكل الذي أمامه، وبين كل لقمة و أخرى أرفع عيوني وأناظر لسارة والتي بدورها منزلة رأسها ومهتمة بالصحن ! ، لم أرغب في التكلم وأكملت أكلي حتى أنهيت طبقي ورفعته بعد ما إستأذنت من الجميع كي آخذه للمطبخ ..

وضعت الطبق في غسالة الصحون وإرتكزت عليها أفكر وفجأة !!! ، يد ترسبت على كتفي ! ، قشعريرة جمدت أطرافي وألتفت بسرعة ! ، سارة ! ، أخفتني !!

، لمعت عينها ورجعت خطوة للخلف : آسفة يا أدهم ، قربت لها : ماذا بك ياحبيبتي ، وضعك لا يعجبني ! ، إبتعدت عني وتسنّدت على جدار المطبخ : لا أعرف ما سأقول لك يا أدهم ! ، الدار فيها شيء غريب يحصل ! ، سكتت لي لحظة ثم قالت : لحد هذه اللحظة أقدموا على الإنتحار 19 شخص ، من بينهم كبار سن وممرضات و واحد من الدكاترة ! ، وكلهم على نفس الرتم وبشكل أسبوعي ، كل اسبوع ينتحر شخص أو شخصين وبنفس الطريقة ، يرمون انفسهم من الشرفة بالليل عندما يكون الكل نائم ، بدون أي سبب ، والذي شهد على الموضوع هو رجل الأمن حمزه لما لاحظ العم محمد قبل اسبوعين يمشي أثناء نومه متوجه لناحية الشرفة ولما لحق به وبكل بساطة كان واقف فوق الحاجز واول ما تقدم ناحيته رمى نفسه من الأعلى ومات ! ، ورغم إننا تكلمنا مع المديرة لأكثر من مره وما من فائدة ابدا، التفتت لي وأكملت : واعتقد إنك تذكر ردها المعتاد الذي تقوله لنا ، والمصيبة إنها أستطاعت تبرأة نفسها من كل الإتهامات الموجهه لها من إهمال وتسيّب ، ولكن أخيراً أستطاع أحد المحققين أن يلاحقها ويثبّت تهمة الإهمال عليها بعد أن تكلمنا معه وأخبرناه بكل طلباتنا وكلامنا معها من قبل

والذي لم يكن له أي فائدة ، وأبشرك أنه تم إعفاؤها من منصبها قبل يومين واستطعت بنفسي أن أطالب الجهات المختصة بمكان آخر آمن وردوا علينا بالموافقة.

وخلال ايام معدودة سيتم نقلنا لمكان جديد ، سكتت لفترة وتنهدت ثم قالت : لقد عيّنوني مديرة مؤقتة للدار لفترة وجيزة حتى يتم النقل ويحضرون مديرة للمكان الجديد ، وبنبرة حادة : انا لا أقدر على المسؤولية يا أدهم ، خائفة ، أن ينتحر أحد المرة القادمة تحت مسؤوليتي ، رغم إنها ايام معدودة لكن أحس ستمر علي مثل الجحيم ، أرجوك ساعدني ! ،إعتصرت ملامح وجهي ، وبفجعة ذكرت : ياسارة ! ، طمنيني عن هديل ارجوك ! ، هل هي من ضمن المنتحرين !! ، إعتدلت بوقفتها وشدّت على طرف فستانها وقالت : لا يا أدهم ، هي بخير !

لكن لا تدري كم هي مرتعبة وخائفة، إن اللعنة الموجودة بالدار تحلّ عليها وتجبرها كي تنتحر ! ، وعلى فكرة أصبحت من أقرب الناس لي بعد ماتركتنا ،لما عرفت إنك صديق لي وهذا شجّعها أن تتقرب مني وتأمنّي على أسرارها ، وأنا حاليا أعرف كل الذي

حدث فترة تواجدك بالمكان ، من بداية الأحداث الغريبة التي واجهتها إلى قصة آية وروحها الملعونة وحتى تفاصيل زوجتك المرعبة ..

في الوقت الذي كانت تتكلم فيه سارة وأنا اراقب عيونها وأحسست إنها تستنجدني وتطلب مني المساعدة بحكم الحيرة المختبأة بداخلها ، أكملت كلامها وذكرت : يا أدهم لدينا حل وحيد لكن مترددة أن أقوله لك ! ، " تملكين حل ولم تتكلمي حتى هذه اللحظة يا سارة برغم إنك ترين الحيرة التي بدأت تسيطرة على دماغي ! " قلت هذه الجملة بصوت ضعيف حتى تكلمت سارة وقالت : الحل إنك تعود للدار لفترة مؤقتة حتى تنتهي المصيبة وتمر الأيام بخيرها وشرها ! ، توسعت عيوني وكنت سأتكلم ولكن شدّت على يدي ثم ذكرت : ارجوك يا أدهم ، انا أحتاجك ولا أعرف ما سأفعل ! ، إنت الوحيد الذي ممكن أن يقف بجانبي ويدعمني بكل قراراتي وأموري القادمة ، حتى هديل كلمتها واقترحت عليها الفكرة وببساطة بادلتني الرأي ! ، عدة أيام يا أدهم، وبالنسبة لأوراق تسجيل دخولك لا نتطرق لها ابداً و سيبقى هذا الامر بيننا ، وغرفتك جاهزة لم يسكنها أحد منذ أن تركتنا ، أتمنى أن تفكر بتمعن قبل أن

تجاوبني وتتسرع بقرارك ، وتذكر إني أحتاجك يا أدهم أكثر من أي وقت مضى ! ..

شعور بعدم الراحة إخترق كل جزء بجسمي الهزيل ، عكازتي قررت أن تخذلني و تجبرني أن أقف على أقدامي لما سقطت على الأرض ، أحسست برجفة تملّكت أطرافي ، ثقل لساني وأصبح سد منيع للحروف.

نظرت لعيون سارة الخامدة والعرق وهو ينزل ببطئ من جبينها ، وبعد أكثر من دقيقة حاولت أن استجمع نفسي وأكوّن جملة دخلت المطبخ خديجة ماسكة الطبق وذكرت : أنتم هنا ؟ ، استريحوا بالصالون سأحضر الحلويات والقهوة ..

إنسحبت سارة و كنت وراءها أتمسك بكل شيء صلب أمامي خوفا ان أنهار بأي لحظة ! ، جلست سارة وعلى الكنبة المقابلة لها إرتميت ، مرت دقائق ثقيلة علي ، افكر بالموضوع وكيف سأتجرأ وأوافق عليه ، إني أراها وهي تناظر لي بإنكسار وبهذه اللحظة أستطاعت ملاكي أن تفوز علي وإكتفيت بأن أهز رأسي لها بالإيجاب ..

وكل الذي فعلته سارة قبل أن لا تأتي خديجة بالحلويات والقهوة إنها إبتسمت ، عادت الضحكة تعتلي ثغرها وكأن الحياة دبّت مره أخرى فيا لما رأيتها تبتسم مع إبنتي خديجة بكامل حماسها وهيجانها ، وطوال هذه المدة كنت افكر بعذر ممكن أن اقوله لخديجة ، لأنه مستحيل أن اقول لها وببساطة سأعود للدار ! ، كنت أفكر أحسست بحرارة وأنفاس شخص بجانبي ، لم ألتفت بحكم أن بهذه اللحظة لمعت بداخلي فكرة وبسببها لن أترك ذرة شك أو عدم طمأنينة تنتاب خديجة ، الأنفاس زادت أكثر ، لفيت وجهي ورأيتها ! ، زوجتي حبيبتي تناظر لي والإبتسامة تحتل وجهها ، حتى عيونها تضحك ، اخخ من زمان لم أراها ، لم تظهر لي من أيامي بالدار ، رفعت يدي وحاولت أن المس خدّها ولكن ببساطة قطع علي صوت خديجة ولمسة يدها على كتفي وهي تقول : يا أبي أنت بخير ؟ ، التفت لناحية المكان الذي ظهرت فيه زوجتي ولكن إختفت ، ءءءاا أنا بخير لكن تثقّلت من الأكل وسرحت قليلا " قلت هذا الكلام بعد ما رأيت نظرات خديجة و سارة المستنكرة " ، نهضت سارة بلحظة وذكرت : انا استأذن ياجماعة لقد تأخر الوقت ..

نهضت وراها مباشرة وقبل أن لا تتكلم خديجة ذكرت : ءءاا نعم يلزم أن نسرع بترتيب سريري ببيتك من أجل أن نصحى غدا ونذهب للمكان الذي وعدتيني أن نزوره زمان ياسارى !! ، لحظة صمت تسرّبت بيننا ، الكل يناظر لي بإستغراب من الجملة الي ذكرتها وأولهم انا ! ، ماكان عندي عذر اهرب فيه من أسئلة خديجة إلا هذا، لم تكن لسارة عذري أي سؤال أو ردة فعل عكسية ! ، تلعثمت وهي تذكر بإستغراب : ءءاا ايه ايه ألن تأخذ شي معك يا ادهم ؟ ، تجاهلت سؤالها ومشيت بحركة سريعة لغرفتي ، كنت متوقع إن خديجة ستلحق بي كي تسأل عن القرار المفاجئ ، وفعلا خطواتها تبعتني وأول مما دخلت الغرفة قالت : أبي ! ، تمزح صحيح ؟ ،

ما هذا القرار الذي إتخذته بمنتصف الليل ! ، كيف عذا أين ستذهب مالمكان الذي وعدتك فيه سارة ومتى سترجع ! ، لاتخليني عالقة وتأخذ عقلي وتفكيري اكثر من هذا ! ، إقتربت لها بعد ماسكتّها وقلت : يا إبنتي فقط كم يوم و سأعود ، أعلم أن القرار كان مفاجئ لكن لم أجد الوقت المناسب ، و ها انتي الحين تعلمين، انا سآخذ لي ألبسة خفيفة واذهب مع سارة لبيتها ومن غد نذهب للمكان الذي

وعدتني به منذ تواجدي في الدار ، اتمنى إن تتفهمي قراري الذي تمّ بلحظة وتأخرت أن اقوله لك ، لاتخافين علي انا بين أيادي أمينة ..

استمررت أراقب ملامحها منذ أن بدأت الحديث لها إلى أن أختتمت كلامي ولاحظت التغير الكبير من الصدمة والخوف إلى الطمأنينة بذكر اسم سارة ، حضنتها وذكرت : انتبهي على نفسك يا خديجة و على حفيدي ونور عيوني ، أيام قليلة و أعود لك مره أخرى ، وأكيد ستكون بيننا مكالمات ..

غادرت الغرفة تاركها ورائي بكامل حيرتها ، وبالصالون يقف حفيدي الصغير يناظر لي وهو يذكر ببراءة : أين تذهب ياجدي ؟ ، تقدمت خطوة ناحيته ونزلت لتحت ووضعت يدي على خده : ساغيب فترة عن البيت ، إعتني بامك واستمع لكلامها ، وسأحضر لك من الحلويات التي تحبها إذا رجعت ، نط من الفرحة وإقترب لي وحضنّني ، وبعد ثواني إلتفت للصالون وكان خالي ! ، تكلمت وقلت : أين ذهبت سارة ؟ ، تكلم وقال : خرجت منذ قليل وقالت لي اقول لك كي تلحق بها ، وكل الذي حدث خرجت وتوجهت للشارع ، ناظرت يمين ويسار وماكانت موجودة سيارتها ! ، وبلحظة ، لمعت إضاءة لسيارة واقفة

بجانب البيت ، نزل منها الشخص وذكر : أدهم صحيح ؟ ، تكلمت بإستغراب وقلت : اااءء نعم ! ، من انت ؟ ، قال : انا صاحب هذه الطاكسي وكلمتني الآنسة سارة لكي أقلّك للدار ، وقالت لي أخبرك أنه طرأ لها ظرف عاجل وستأتي هناك عندما تنجزه ، عضيت على أسناني بقهر وقلت في نفسي : اخخخ منك ياسارة ، اتمنى إن الأيام القادمة تكون مثل سحابة خفيفة علينا جميعا ، وفعلا ركبت معه وتحركت السيارة للدار ، وبعد أكثر من نصف ساعة وصلنا ..

أخذت شنطتي الخفيفة وأمام البوابة الكبيرة ، دفعتها ودخلت ، مررت بجانب الباب والذي من المفترض أن يكون حارس الأمن بجانبها ، لكنها خالية تماما من أي مخلوق ! ، نسمة هواء حارة حرّكت كوب القهوة المليئ والمتواجد فوق طاولة الحارس ومن الواضح إنه طازج من البخار المتصاعد ! ، تجاهلت الأمر ودخلت ، ولأول مرة الطابق الأرضي والي هو الأساسي ودائمل تكون فيه حركة مفرطة ، وهذه المرة لايوجد أي شخص ! ، أثار التعب بدأت تتضح علي ، وبخطوات متثاقلة وعند باب غرفتي فتحته ودخلت ،

وكما تركتها لا شيء متغير أو متحرك من مكانه بعكس الأغطية البيضاء والتي تحمي الأثاث من الأتربة ، بدأت أرفعهم ، وفتحت النافذة ، وبلحظة أحست بغثيان بسيط، وقررت أتوجه لسريري لكي أنام .

صراخ بدأ يرتفع ويثقب طبلة إذني من قوته ، نهضت من مكاني بهلع ، التفت وتأملت المكان ! ، يالله كل شيء حقيقي ، توقعت عودتي إلى هنا حلم وإستيقظت منه ! ، أخذت الأصوات تتعالى بالخارج ، فتحت الباب ! ، الدكتور أيوب مر بشكل سريع من أمامي و لم ينتبه لي ، لقد تغيّر وإمتلئ رأسه بالشيب المبكر رغم عمره الصغير إلا إني عرفته من إثر الحرق الصغير المتواجد اسفل خده اليسار والذي حدث له منذ أن كان صغير ، تقدمت خطوة واتضح لي الممر بالكامل ، حركة غريبة وعشوائية ، الكل يركض بعشوائية ! ، إتبعت خطواتهم يسار الممر حتى وصلت لأحد الغرف والتي كانوا متجمعين أمامها سكان الدار وكل الموظفين يتهامسون بصوت خفيف وبعيون مترقبة ، دخلت بينهم حتى وصلت لباب الغرفة والصدمة ! ، ممرضة إستطعت أن أميّز ردائها الأبيض مرتفعة عن الأرض وجسدها

يدور حول نفسه ، وتحتها بالضبط الكرسي الخشبي والذي من الواضح إنه إنكسر بمجرد أن أقدمت على الإنتحار ولم يتحمل ثقل جسدها ، لون بشرتها شاحب والدم تصفى من وجهها بالكامل ، والواضح إن لها ساعات طويلة بهذه الحالة ! ، سقطت عكازتي من يدي ، حاولت أستند على أي شيء بجنبي ولم أستطع ، سقطت على الأرض اتأمل المنظر لثواني حتى تجمعوا الشرطة وبدورهم سندوني و أبعدو الكل عن مسرح الجريمة

بخطواتي الثقيلة إتجهت لغرفتي ، أريد أن ابتعد وانسى كل شيء رأيته ، مع إني أجزم أن محاولاتي ستفشل وبيبقى هذا المشهد راسخ بذاكرتي للأبد ، لفيت مقبض الباب لأكثر من مره لم يفتح ، شعرت بعيون المارين من ورائي ويتهامسون بهدوء تام مستنكرين وجودي ، البعض منهم كان جديد ويحسبني الأن أتيت للدار مثله ، والبعض الآخر أعرفهم ويعرفوني جيدا

استسلمت وقلت مع نفسي : اكيد الباب موصد وبدأ الصدأ يتآكله بعد كل هذه السنوات الطويلة ،أكملت

طريقي لناحية الصالون ، متجه إلى اقرب كرسي كي أرتمي عليه قبل أن لا يصيبني الشلل ، و وسط الصالة والتي كانت على هيأتها مثل ماتركتها ، متوزعين بعشوائية كبار السن المصابين ، الذي يتكلم مع نفسه ، والذي يضحك وبلحظة يبكي ، والبعض أخذ الدمى الصغيرة وصار يلعب فيها بعيد عن ضجيج الناس ، وعلى الكنبة القريبة من النافذة جلست متجاهل الجميع ومتأمل جمال الشمس لهذا اليوم لعلى وعسى بلحظة أنسى الأحداث المؤلمة والتي شهدتها قبل دقائق ..

أدهم ! ، أنت ماذا تفعل هنا !! ، بصوت حاد ترددت هذه الجملة من ورائي ، عدا للواقع بعد ما إختفت الشمس والواضح إني قضيت ساعات طويلة أمام الشباك ، إلتففت لجهة الصوت ، سارة ! أين إختفيتي وتركتني البارحة !! ، لكن لا رد فقط تناظر لي بفزع ! ، وكأنها شهدت شبح أمامها ! ، رفعت عكازي وإعتدلت جلستي وقلت : ماذا بك يا سارة ! ، تتمتم والواضح إنها تتكلم لكن صعب الكلام أن تفهم ، فركت رأسها بتوتر وجلست بجانبي ثم ذكرت : أدهم ! ، لا تقول لخديجة أني تركتك هنا مرة أخرى ! ، رفعت حاجبي بإستنكار وذكرت :

تركتني هنا ! ، لا انا هنا كي أكون بجانبك حتى تنتهي الأزمة كما تكلمنا أمس ! ، كشرت عن أسنانها وقالت : أمس ! ، متى تكلمنا يا أدهم ؟ ، لأني لا اذكر إني قد لامست هاتفي لأن زوجي أحمد كان ملازمني بعد أن عاد من دوامه !! ، قشعر جسمي وسكتت لثواني ! ، وبداخلي ذكرت : كيف لم نتكلم ! ، أرجوك يا سارة لا تخوفيني أكثر من الخوف المتكوّم فيا ! ، شدّت على يدي و قالت : أرجوك أعلمني ماذا يحصل ! ، لست مستوعبة إنك أمامي هنا ، لاتخفي علي يا أدهم وأجبني لما عدت كي ببساطة نصل إلى حل يرضي الجميع ! ، ماكان عندي رد لكمّ الصدمات الهائل الذي يهطل على رأسي ! ، ياترى هذا مقلب وتقوم به لي بحجة إنها بتنتقم من كمية المقالب التي كنت افعلها لها قبل ! ، لكن نفيت هذه الفكرة عندما صارت تردد وتقول : كنت أعرف إن خديجة ليست بقدر المسؤولية وخائفة إنها ترجعك للمكان وتكسر قلبك يا أدهم ، انا من غدا يلزم أن أذهب وأتفاهم معها و نجد حل لهذه المشكلة ، لا تخاف يا أدهم لن أتركك تجلس بالدار وتتعذب مثل المرات السابقة ، الحين تأخر الوقت سأجد غرفة تنام فيها حتى الصباح و نناقش موضوعك ..

إمتنعت عن الكلام ، لم يكن عندي ما أضيفه فوق الكلام الذي نزل مثل البرق علي ، لابد مني بنهاية قصتي أقدم جزيل شكري لـ جميع لحظات الصمت الي كانت معي طوال رحلتي ، واثناء ماكنّا مارين بطابق الغرف مررنا بجانب غرفتي القديمة ، خففت من مشيي بعد ما أشرّت على الباب وقلت : ءءاا انا سأنام بغرفتي القديمة ! ، توترت سارة ثم ذكرت : يا أدهم ، الغرفة مقفلة منذ أن غادرتها ونسخة المفتاح الوحيدة موجودة ببيتي لما نسيتها بأحد الأيام السابقة ، ومن يومها لم يسأل أو ذُكر شيء يخصها وبدوري لم إهتم لها إلا لما ذكرتها بهذه اللحظة وتذكرت مكان المفتاح ، وأكملت : أنا اعرف إنك مشتاق لها رغم مرارة الأيام الي قضيتها بين جدرانها ، لكن لا أريدك ان تعتاد على المكان لأنك ستذهب غدا ، أنا أعدك يا أدهم ، أقرب غرفة متاحة بهذه الليلة هي غرفة المهندس محمد الذي إنتحر ! ، غثيان بسيط تمكن مني ، وضعت يدي على الجدار وبلحظتها إنتبهت سارة ومسكتني قبل أن أسقط وذكرت : إرتح إرتح يا أدهم على الكرسي حتى أحضر مفتاح غرفة المهندس واعود ..

ماذا يحدث ! ، بيني وبين الجنون إلا القليل ، كمية الصدمات التي تلقيتها اليوم كفيلة بإنها تؤدي بحياة شخص عاقل للجنون ! ، من التي زارتني بالأمس في البيت إذا كانت سارة فعلا مع زوجها كما ذكرت لي والواضح أنها لا تعرف اي شيء حصل ويحصل لها الحين ! ، الشيء الوحيد الحقيقي إنها فعلا قد صارت مديرة مؤقتة كما ناداها أحد الدكاترة قبل قليل بهذا اللقب ، والأمر الحقيقي الثاني أن المهندس محمد إنتحر بالفعل ! ، يارب ساعدني ! ، والصدمة الكبرى أن غرفتي التي نمت فيها بالأمس وكانت مفتوحة على مصراعيها ، والآن وبشكل مفاجئ تسكرت والكل ينكر إنها كانت مفتوحة من الأساس ! ، والجزء الصغير المتبقي على تلف عقلي هو أني سأقضي الليلة بغرفة المهندس محمد والذي إنتحر وترك لغزه مثل باقي المنتحرين ! ..

صوت سارة تردد بإذني لما كانت تنادي من بعيد بإسمي وتقول : هيا يا أدهم يجب أن تستريح ، نهضت من مكاني بعد ما إستعدت قليل من طاقتي ودخلت للغرفة وبتلك اللحظة تكلمت بتشتت وقالت : انا اسفة يا أدهم ساحاول أن ازورك الليلة واجلس معك ، ءاا نسيت أن أخبرك إني أنا المديرة

المؤقتة للمكان حتى يتم النقل بعد أيام للدار الجديدة ، والشغل يفوق طاقتي ، بادلتها ابتسامة باهتة وبيّنت لها إني عرفت بهذا الخبر منها ، اخخ لو تعرفين يا سارة إنك زرتيني بالأمس وخبرتيني بكل شيء يحدث بالمكان وأردتني أن أعود معك، كان ستفقدين عقلك من الصدمة ، لكن أنا متأكد أن هذا الشخص لم يكن أنتي ، يارب ساعدني لكي أفهم ماذا يحصل ولما قرر يستدرجني إلى هنا ! ، غادرت سارة الغرفة ، وقفت بجانب الباب وعيوني تترصد بالمكان ، أتخيل طيف المهندس محمد أمامي ينادي علي لأجل أن يتكلم ويخبرني عن ولده المتوفي وعن مغامراتهم وإنه سيأتي و يأخذه من الدار بأقرب فرصة ممكنة ، لكن تلاشت صورته لحظة رؤيتيه واقف بجانب شخص ثاني وإستنتجت إنه ولده وإختفت الصورة مباشرة ، لم أذكر المدة التي تصنمت فيها بدون أي حركة ، ولولا قدمي والتي بدأت تألمني كنت سأستمر واقف بنفس موضعي ، نوبة هستيرية صابتني ! ، صرت أحطم وأضرب كل جماد يتواجد أمامي بعشوائية ، حتى سقطت على الأرض بعدها قمت ألهث وأتنفس بصعوبة بالغة ، سحبت نفسي للحمام ، فتحت صنبور الماء وبدأت أتأمل وجهي بالمراية الأمامية ، كمية التجاعيد التي

تحاوطني ، شعري الأبيض الباهت ، الهالات السوداء أسفل عيوني ، لو عرضوا علي دور ثانوي في فلم للزومبي أعتقد أني لن أحتاج لمكياج من كثر ماكنت أشبه برجل حي ميت ، مدت يدي للماء ونزلت رأسي وغسلته أكثر من مره ، رفعت رأسي اشوف شكلي وبلحظة شفت على الجدار الخلفي رسمة لدائرة سوداء لكن لم تكن مكتملة ، ومن الواضح أن الذي رسمها نفذ منه الدهان وتركها نصف دائرة قبل إكتمالها ، خرجت من الحمام بدون أن أنشّف قطرة واحدة وغادرت الغرفة بعد أن أحسست بضيقة من الجدران ، مشيت بالمرر حتى وقفت عند باب هديل ، أخيرا قليل الجرأة لكي أزورها بعد الغياب الطويل ، نظرت لمقبض الباب وبلحظة تحرك قبل لا ألمسه!..

إنفتح الباب بخفّة وأول إلتقاء لعيوننا هلعت وعادت للخلف وصارت تتمتم بكلمات عجزت أن أعرف معناها ، وضعت يدها على صدرها تحاول أن تلتقط أنفاسها وذكرت : أدهم ! ، ماذا تفعل هنا ؟ ، ابتسمت بعدما أضحكني شكلها وقلت : سلام عليكم، نعم انا هنا مره أخرى ، والواضح إنه ليس لي غنى عن هذا المكان ، وأكملت : ماتغير فيك شيء

بإستثناء إنك أصبحت تخافين بسرعة ، بادلتني الابتسامة بعد ماهدأت وقالت : اهلا بعودتك يا أدهم ، لكن تغيّر مظهرك بعدما أبعدتك السنين وصرت أشبه بالمومياء ولوهلة حسبتك شبح ، ذكرت هذه الجملة وهي كاتمة ضحكتها ، حكيت شعري وبمزح ذكرت : تصدقين إني أفكر أن أصبح ممثل بأحد أفلام الزومبي المشهورة ! ، أتوقع إني أترشح لدور البطولة وبجدارة ، وأثناء ماضحكنا من قلبنا لثواني ذكرت : نأتي لموضوعنا الأساسي ، أريد أن أحكي لك سبب عودتي للمكان وماذا حدث معي حتى ينتهي بي الزمن بهذه الدار مرة أخرى ؟ ، هزّت رأسها بعدما دفعت الباب وقالت : تفضل ادخل ..

وبالداخل مرّرت إصبعي على الكرسي من أعلاه ومن ثم جلست عليه و توجهت هديل لـ آله القهوة ، وكلها دقايق وتقدمت نحوي وبيدها كوبين قهوة ، مدّت الكوب لي وذكرت : اعتقد الليلة ستكون طويلة يا أدهم والواضح إن الذي ستقوله أكثر أهمية من الذي عندي ، والذي حدث بدأت أسرد كل شيء حدث معي بكامل تفاصيله حتى وصلت إلى الباب غرفتها قبل ساعة ، نعم تعدت ساعة كاملة أتكلم فيها وأعتقد قد أتى الوقت المناسب إني أصمت

وأعطيها كل الوقت لأجل أن تفكر وتستنتج معي وتتنفس بعد كمية الأحداث التي إنذكرت ، كانت تستمع لي بصمت وبكامل حواسها وتعابير وجهها بين كل حدث وآخر تزداد خوف وحيرة ، وأثناء توقفي عن الكلام حملت كوب القهوة البارد وبدأت أشربه وبدأت تتكلم وتعطيني حلولها ، و أحسست بخفّة وراحة بعد أن تكلمت ، سكتت قليل ثم قالت : الشخص الي زارك بهيئة سارة مستحيل يكون سارة بذاتها ، والواضح إنه كان يريد أن يرجعك للدار بأي طريقة ممكنة ، وكان بيده إلا هذه الطريقة والتي من الواضح إنها نجحت ! ، إستغل نقطة حبك وضعفك تجاه سارة وجعلك سهل الجذب ، حسنا يا أدهم عندنا مشتبه فيه واحد وهو بنفسه المتسبب بجميع حالات الإنتحار داخل الدار طوال الفترة الماضية ! ..

دائما أحلم بها وهي تردد وتنذر أنها لن تترك أي شخص إلا وتقتله ، آية يا أدهم ، هي بنفسها لازالت تزورني بكوابيسي وتنبأني بموت الشخص القادم ولما أصحى مفجوعة من نومي أركض ناحية الضحية القادمة وكل الذي أحصله جثته وهي مرتفعة عن الأرض ! ، لم تترك لي مجال كي أنقذ أحد فيهم قبل

تقتله ! ، كانت تستمتع وهي تجبرني على أن أشاهد جثثهم من البداية ، توقيت دخولها لأحلامي كان قبل لاتنتحر الضحية بليلة ، الكل كان يشهد ركضي بشكل هستيري تجاه الغرف وكانت تجبرني أن أشاهد الضحية قبل أن لا يراها الجميع ، لدرجة إنهم بدأوا يعتقدون ويربطون توقيت معرفتي للوفاة ورموا علي التهمة ، ليس بيدهم دليل صارم بحقي ، وبكل بساطة أطلقوا سراحي مثل كل مرة أقع فيها بموضع المذنب ، كل سكان الدار أصبحوا ينبذون وجودي ويكرهوني وكأني أنا السبب في كل الذي يحدث ! ، لم أستطع أن أتكلم لأحد وأقول له ، ولما تجرأت أن اتكلم مع سارة لما كانت ممرضة إستجابت لي وصدقتني ! ، وقالت إنها تبحث عن حل للمصيبة هذه وفي نفس اليوم لمحتها بالصدفة تتكلم مع الطبيب المناوب كي يبدأ بتشخيص حالتي ويصرف لي أدوية زهايمر ! ، ولهذا السبب أصبحت إنطوائية ووحيدة بغرفتي بعيدة عن الأحلام والكوابيس وكل الذي يحدث خارج غرفتي ، لا يهمني شيء كي أبتعد عن كلام ونظرات الناس وأبيّن لهم إنه ليس لي ذنب في كل الذي يحدث ! ، هدأت قليل وتوسعت عيونها وذكرت : تذكرت يا أدهم ونسيت أخبرك !! ، فرقعت أصابعها بتوتر وذكرت : ءءاا تراودني كوابيس

من أسبوع ، يتكرر فيها حبل مشنقة متواجد بأحد الغرف القريبة مني لكن لم أستطع أن أميّز أي واحدة فيهم ، وبشكل يومي تظهر لي نصف دائرة على الجدار ولما أصحى تظهر لي الرسمة ، وبعدها بثواني اسمع صوت آية والذي حفظته عن ظهر غيب وهي تقول : لا يزال الرأس الكبير لكي تكتمل دائرة الضحايا،

وبعدها تختفي وتتركني بحيرتي أفكر من المقصود بكلامها ! ، وكل يوم على هذا الحال ، بإستثناء صباح هذا اليوم لما تكرر نفس الحلم والشيء المختلف أن تلك الدائرة السوداء على الجدار مكتملة وكل الذي حدث بعدها أن آية لم تظهر أو تكلمت معي مثل المرات السابقة ! ، وبهذا اليوم إنتحرت تلك الممرضة المعروفة بسلمى لما سمعت خبرها من الممرضة التي أعطتني أدويتي اليوم ، فجأة ! ..

إستطعت أن أربط عودتك مع الأحلام التي حلمتها وأعتقد إني وصلت لحل مبدئي و أراه أقرب للواقع ! ، بلعت ريقها ثم بدأت تتكلم لكن سبقتها وذكرت : إكتملت الدائرة وقت دخولي لهذا المكان ومع الأسف

أنا أكون الجثة القادمة !! ، إكتفت تهزّ رأسها بحزن ، تلخبطت مشاعري و لم أعرف أضحك أو أحزن وأبيّن لها إن كل شيء بخير أوإني خائف وسأغادر الدار غدا و تصيبني حالة رعب وأزيد الخوف عليها أكثر ! ، قلت : لاتخافين يا هديل ، إن كان إستنتاجنا صحيح وأنا أكون الضحية التالية فأحب اقولك إن ليست عندي ذرّة خوف من آية و سأغادر الدار غدا كما لو أني لم آتي إلى هنا و ستأخذني إبنتي خديجة ، وبما إنها لن تقدر أن تقتلني ! ، ف الضحية التي تليني مهما كانت ستكون بعد أيام طويلة على أقل تقدير ! ، ومن الآن حتى ذلك الوقت ستركتوا المكان و تنتقلتوا للدار الجديدة والتي ستكون آمنة اكيد ، نهضت من مكاني وقلت : والآن سأذهب كي أنام ، الوقت تأخر وأحتاج أن أرتاح لكي استعد للمغادرة غدا ، و متحمس أن اجرب لحظة خروجي للمرة الثانية ، واكيد شعورها سيكون أقل من القديمة ، إقتربت ناحيتها وقلت : كوني بخير يا هديل ،سحبت أقدامي من عندها وإتجهت لغرفة المهندس محمد وطول الطريق أدعي أن لا أصادف شيء خارج للطبيعة أو يرعبني أكثر ، وبخطوات سريعة دخلت الغرفة وإرتميت على السرير ونمت .. فتحت عيوني على صوت قطرات ماء ، نهضت بتثاقل وسحبت

العكازة وتبعت مصدر الصوت ، وكان من الحمام ، دفعت الباب وشفت صنبور الماء يصب ، أغلقته بقوة ، حاولت أن أمنع قطرات الماء تسقط ولكن مازالت على نفس الرتم ، ضربت المغسلة مرات عديدة ، لم أعرف سبب نرفزتي ! ، الإجهاد العصبي والتوتر الذي أمر فيه جعلني أصب جل غضبي على كل شيء من حولي ، فتحت الصنبور وتركت المياه تأخذ مجراها ، غسّلت وجهي ونزلت رأسي وتركت المياه تغطي كل جزء علوي ، إرتفعت بسرعة وفتحت عيوني بصعوبة وبإنعكاس المراية لمحت حبل مشنقة ورائي مباشرة ! ، متصل من أعلى السقف دون أن يثبته شيء !!! ، والمصيبة أن الدائرة إختفت وموجودة رسمة جديدة ، إقتربت وتمعنت النظر والمصيبة ! ، عكازي مرسوم بالأسود مكان الدائرة !!!! ، تحركت بسرعة ولكن لم أجد لا رسمة ولا حتى حبل مشنقة ! ، وبلحظة صنبور الماء توقف يصب !! ..

رفعت عكازي والذي سقط من يدي قبل لحظات وخرجت من الغرفة بتجاهل تام لما يحدث ، هرولت تجاه مكتب المديرة على أمل أن أجد فيه سارة وأستفسر منها متى ستأتي خديجة وتأخذني من الدار ، وعند الباب طرقته لأكثر من مره ودون

استجابة ، فتحت الباب وكان فارغ وأنواره عتمة ، " المديرة سارة لم تأتي ستتأخر اليوم بحجة إنها مشغولة بأوراق الممرضة المنتحرة سلمى ، التفت ناحية القائل وكان قصي ، أحد الممرضين القدامى للمكان ، وبعدما ذكر جملته مشى والغريب إنه لم يعرف من أنا ، ممكن بسبب إني ما إحتكيت به منذ مدة ، لم أهتم وأكملت طريقي للمطعم ..

صارت أنظاري تجوب المكان بحثا عن هديل بين الجلوس لكن لم أجدها ، وإستنتجت إنها من الممكن لاتزال نائمة ولا أحد صحّاها ، غادرت المطبخ وصعدت الدرج قاصد السطوح ، صرت أجاهد نفسي كي اكون ايجابي مهما حصل واستمتع بكل لحظة بالدار وأسترجع ذكرياتي الجميلة رغم إنها تنحصي ، الهواء عليل والغيوم متلبدة ، وتفائلت إن هذا اليوم سينزل فيه مطر ، نظرت للدور الأرضي وبين السيارات المتراصّة لم أرى سيارة سارة ، التوتر بدأ يسيطر علي ، أغمضت عيوني وقلت : يارب تأتي وتنقذني من المكان بأقرب فرصة ، ارجوك يا سارة أحتاجك اكثر من إي وقت مضى ، لكن مرت اكثر من ساعة و لا أثر لها ، الهواتف منعدمة بالدار و ليس مسموح أن تتصل إلا بأوقات محددة والمديرة نفسها تجدولها للجميع ، ولم أرد أن أزعجهم و أضاعف

الضغط عليهم ، بنهاية الأمر اكيد ستأتي ومعها الأخبار السّارة .. السماء إمتلت بالغيوم الكثيفة وأثناء لما كانت تغلق كل فراغ فاتح بالسماء وأعلن الليل حلوله حامل الخير والمطر معه ، وعلى الطريق الرئيسي المؤدي للدار تحت المطر الكثيف توقفت سيارة حمراء قديمة الطراز تحت الإشارة الضوئية ، الطريق خالي إلا من سيارات معدودة ومتباعدة ، وبداخلها جالسة خديجة بتوتر وقلق تام وهي تناظر للسماء وللإشارة الحمراء وتردد :

يارب ساعدني أحضر أبي من الدار و نعود لبيتنا قبل حلول العاصفة ، ضربت مقود السيارة وتأففت وأكملت : ياأبي فيما كنت تفكر لما قررت تعود لهذا المكان مره أخرى ، وصارت تفكر بالمكالمة الي دارت بينها وبين سارة قبل نصف ساعة ، وبلحظتها رفعت خديجة الهاتف لكن الإزعاج من جهة سارة ما أعطها فرصة تسمع صوتها جيدا ، كل الذي ذكرته سارة إن أدهم رجع للدار مرة أخرى وطلبت منها تتوجه لكي تاخذه ، وسط إستغراب تام من خديجة ولأن آخر ماتتذكره إن سارة بنفسها زارتهم البيت وأخذت أدهم معاها على اساس يقضون كم يوم إجازة مع بعض ! ..

وبلحظة تبدّل لون الإشارة للأخضر ، وخديجة لم تنطلق من مكانها ظهر أمامها شيء بإستنكار ! ، ترجلت من السيارة وخطت خطوتين ثم قالت بصوت خفيف ويرجف : أمي ! ، وعلى الجهة المقابلة للإشارة ظهر طيف أمها بهيئتها المعهودة وبإبتسامتها الخلابة وصارت تشير بيدها لخديجة ، وبالفعل تقدمت خديجة بخطوات غير متزنة وكلها ثواني معدودة حتى طار جسدها وإرتفع عن الأرض أمتار عديدة بعد ما إعترضتها شاحنة النقل الضخمة من جهة اليمين وأجبرت جثتها تستقر بعيد عن المكان بحالة يرثى لها ..

ضرب البرق مولّد الكهرباء القريب من الدار ، كل الأنوار الخارجية والداخلية تعطلت ، صوت كبار السن والممرضين يصرخون بهلع ، بدأت الممرضات بالسيطرة على المرضى والوضع و أناروا عدّة شموع ووزعوها بالصالون وأمام الغرف وعاد المكان ينوّر بإنارة الشموع الخافتة ، تمسكت بعكازي وقمت من مكاني لحظة ما طلبت أحد الممرضات من الكل يتوجهون للصالون حتى تعود الكهرباء من جديد و كي يحصوون أعداد الجميع ولا يتضرر غالبية السكان من الذي حدث ، ساعدتني كي أنهض وبعد أن

تمعنت بوجهي ذكرت : ءءاا ياعم لا أذكر إني رأيتك هنا من قبل ! ، كم رقم غرفتك ؟ ، تلعثمت وكنت سأتكلم ولكن ظهرت هديل من وراها وقالت : ءءءاا يامرضة ، يوجد مريض مصاب بالزهايمر يتخبط بنهاية الممر أشبه بطفل وخائف ، أتمنى منك أن تساعدينه ..

ذهبت من عندي متجاهلة لأمري كي تهدّي المريض وتطمّأنه ، تنهدت هديل وبإبتسامة ذكرت : حلّ الليل ومازلت متواجد هنا ، أظن أنك تنوي العيش هنا مجددا ، ولم تعطتني مجال كي ارد على مزحها الذي لم يكن بوقته وسط نغزات إجتاحت قلبي وإحساس إنه سيحدث شيء سيئ بسبب هذه العاصفة ! ، أكملت كلامها وذكرت : أذكر إنه كان يروق لك المطر لحظة نزوله، هل مازلت تحبه ؟ ، هزيت رأسي وقلت : ءءاا لا أعتقد أنه يوجد أحد يختلف على حب المطر ، نطت أمامي بخطوات وقالت : حسن إلحق بي لن نجد افضل من هذه الفرصة كي نستمتع تحت زخات المطر لبعض الوقت ، سبقتني وإختفت بنهاية الممر ..

وبالرغم من عمرها الكبير إلا إني إنصدمت من الرشاقة الي تمتلكها ، والتي يراها أحدهم من بعيد يقول قمر 16 كما يمدحون البنات الجميلات بمجتمعنا ، حاولت أن أجاريها بالسرعة لكن قدمي تألمني بشكل لايطاق اليوم ! ، والسبب إني ضربت الطاولة بغرفة العم محمد عن طريق الخطأ عندما أحدثت الفوضى ، وعند الدرج رأيتها تأشر لي لجهة السطح وتقول : إستعجل يا أدهم ستمر المتعة ، لم أتوقع أنك عجوز لهذه الدرجة ، حركّت رأسي وبإبتسامة طفيفة زدت بسرعتي متجاهل الألم الناتج بقدمي ..

خطيت آخر درجة وصار السطح واضح لي بالكامل ، المطر ينزل بكثافة ولم أستطع أن أميّز أميمة هناك ! ، أين إختفت !! ، صعدت وأصبحت على سطح المبنى ، التفت لكل جهة والخوف صار يسري مفعوله ببطئ في جسمي ! ، وبلحظة !! ، حفنة من الماء إنهمرت على رأسي من فوق ! ، باردة وأصابتني بالرعشة ! ، رفعت وجهي كي اشوف مصدرها وسبقتني بضحكتها وهي تذكر : خدعتك ، أين الذي كان يقول أمس إنه مايخاف من أي شيء وسيغادر من الدار بأقرب وقت ؟ ، هدأ داخلي بلحظة وتطمنت وذكرت بمزحة : ءءاا اعتقد إني بقضي

معاكم الأيام الأخيرة هنا ، ولو مشيت سأخسر موكب الحماس والفعاليات التي شاهدتها الحين ، ضحكت ثم أشّرت لي على السلم الجانبي وقالت : تعال إصعد المنظر هنا افضل ..

واقفة فوق خزان المياه المرتفع معدوم الأسوار والذي من المفترض أن تحيطه وتحمي أي شخص ينوي أن يصعد على متنه ، وبلحظة هدأ المطر وخفّ وصار يسقط برتم أخفّ ، جلست على طرف الخزان وفسحت لي بعض المجال لأجل اجلس بجانبها ، وأثناء ماوصلت للقمّة ، إختل توازني وضغطت الأعصاب على ساقي مما أجبرتني أن أسقط بعشوائية واتمسك بغطاء الخزان ، إنتبهت لي هديل ومدت يدها وذكرت : إمسكني وأقترب لا تخاف لن يحدث ذلك شيء اليوم ، كشّرت عن أسناني وقلت : ءءاا لا لا دعيني هنا افضل ، سطح الخزان لزج وناعم بسبب الأمطار، ارتمت بجسدها للزراء وصارت تنظر لي بالمقلوب وقالت : غريبة المديرة سارة ليس لها وجود الليلة ! ، قلت : اخخ ما ادري يا هديل ، ممكن بحجة العاصفة وبحكم إن اغلب الطرق غرقت وصار من الصعب إنها تصل لـ هنا ، مدت يدها وسحبت قميصي ثم قالت : مابك سرحت ؟ ، أتمنى أن ترمي ثقل الدنيا من على كتفك وتستمتع بكل

لحظة ستقضيها هنا بالقمة ، لاتنسى إن الممرضين جالسين يحصون عدد الجميع وإذا عرفوا إني مفقودة سيبحثون علي وبالنهاية سيوصلون إلى هنا وسيخربون علينا جمال هذه اللحظات..

وصراحة لا أريد العودة للأسفل ، إعتدلت جلستها وأكملت : أنا ندمانة على عدم معرفتي لك منذ زمان ولم أكن متخيلة ومتقبلة وجود البشر من حولي بعد ماتوفت صديقتي آية ، دائما أردد واذكر إن في الدنيا لا يوجد ناس جيدة وطيبة ، وأحاول بكل قدرتي أن ابتعد عن الكل حتى عن نفسي ! ، وحزينة على الأيام التي عدّت اثناء وجودنا اثنينا بالدار ولا تقابلنا أو تكلمنا فيها ، وخلال هذه الدقائق والتي من الممكن أن تكون آخر دقائق تجمعنا بسبب إن سارة ممكن وصلت وجالسة بمكتبها أو إنها ستصل ب أي لحظة وتجعلك تغادر الدار ، ولو خيروني مابين أقضي باقي حياتي سعيدة وبين إني اتواجد بهذا المكان مع شخص يملك قلب طيب مثلك ، بكامل حواسي وقلبي وعقلي سأتمسّك بالخيار الثاني بكل قوّتي ..

وذكرت : ايه خليك هكذا مبسوط ، الدنيا لاتستحق غضبك وقلقك ولا أريد أن أراك متضايق ومهموم ، إضطررت أن أرمش عيوني لما عادت قطرات المطر تتساقط ، صارت تتناغم مع زخّات المطر ، وبشخصية المراهقة أخذت ترقص وتتحرك بحذر فوق الخزان ، تخلصت من عكازي ورميته وتدحرج حتى لما وصل للأرض ، قمت من مكاني مستعين بـ كامل طاقتي ، وعلى أنغام الموسيقى التي تحيط بي داخل رأسي رقصت حتى فقدت الإحساس حولي وتركت جسمي ينزل على الأرض وهديل بدورها أكمّلت تدور والإبتسامة منشرة على وجهها ، وكأنها توجه رسالة لي إنها مازالت تملك روحا خفيفة ومرحة برغم تقدمها بالسن وليست مثلك عجوز وإنقضى عهدك يا أدهم ، وبشكل مفاجئ ! ..

تعرقلت ساقها وأوشكت أن تسقط لأسفل ، تركت من مكاني بسرعة وتشبثت بيدها قبل أن تسقط ، كل جزء في جسمي يهتّز ، قوّتي وعضلاتي بدأت تنهار وقادر اسمع التمزق العضلي الذي مررت به لما مديت لها يدي ومسكتها بقوّة ، حاولت أن أرفعها لـ فوق و لم أستطع، أصبحت أسمعها وهي تردد وتقول : أتركني يا أدهم ارض السطح قريبة ، لكن لم

أعرف لما لم أستطع اتخلى وأتركها ، ماهان علي أن أتركها تسقط وتتأذى بسببي ! ، وليس لدي استعداد أن أتخلى عن أي شخص تمسّك بيدي ، إرتفع صوت حركة خطوات لشخص يصعد على السلالم الجانبية من خلفي ! ، وأكملت طريقها حتى توقفت فجأة عند أقدامي الممتدّة ، لم أسطتع الرؤية أو حتى أن التفت له بحكم إني ماسك يد هديل ، تقدم وصار ملازم رأسي المنحني ، حاولت أن اناظره لكن ميّزت إلا ساقها الباهتة المترهلة ، صرخت بصوتي : ساعديني ، هديل ستسقط، لا أستطيع أن استحمل أكثر ، وأثناء ما إلتفت لهديل والتي إختفى صوتها عندما تقدم هذا الشخص ناحيتنا ! ، تناظرها بعيون متوسعة بصدمة ! ، لم أعرف المنظر الذي فوق رأسي والذي ترك هديل تقشعر منه حتى نطقت بتمتمة : ءءءاااا آية! ، لما ذكرت إسمها أحسست أن شعر جسمي وقف ونبضات قلبي تزايدت أسرع ، إشتّد المطر أكثر ودارت بيننا ثواني هادئة ، وبالرغم من إن المطر يحتاج التأمل وأن تستمتع به بكامل حواسك إلا إني تمنيت أن يتكلم أحد وينفي وجود آية خلفي ! ، وبنبرة هادئة ذكرت : نعم آية ؟ ، لما تناظرين لي بهذا الشكل ، من المفترض إنك تنقذينا ، وبصوتها الخبيث قالت : لأن أدهم يحتاجك معه

إبتداء من هذه اللحظة لـ أيام غير معدودة مستقبلا ، بإستغراب لففت وجهي قليلا وبلحظتها تراجعت بخطواتها للخلف وقبل أن تنزل من على السلم قالت : الرب يصبّر قلبك يا أدهم ، ليلة العزاء الأولى ستكون ثقيلة عليك ، واثقل من قطرات هذا المطر ! ، تصنمت لما ضربت هذه الجملة قلبي وأصابتني بالشلل ، دون أن أشعر على نفسي تركت يد هديل التي سمعت دويها وصراخها الذي إرتفع لحظة ماضربت الأرض وأصبحت تصرخ من الألم الذي تسببت لها فيه لحظة إفلاتي ليدها ..

لمعت السماء بالبرق ، مديت ظهري على الخزان تارك المطر ينزل ويغطيني بصدمة مني ، أرجوك يارب لا يكون أحد مات من عائلتي ، حتى سارة ! ، كفاية تعب لم أكن مستعد أن أتقبل موت فرد جديد !

وكل الذي ذكرته قبل أن لا تتسكر عيوني وأتدحرج من فوق الخزان للأرض صوت عظامي المختلطة مع صوت الممرضين الذين إلتمّوا أتوا لهديل كي يسعفونها ..

عربة الأدوية بتدحرجها المعروف تسلل لأذني بخفّة ، جفوني إنكمشت أول ما تسلّط نور أبيض أزعج

عيوني ، صرت افتحهم قليلا ثم أصبحت الرؤية أفضل ، غرفة جديدة علي لكن جزء مني إسترجع تفاصيلها المألوفة ! ، خمّنت وكان تخميني صحيح لما دخلت الممرضة و وقفت عند سرير يمين سريري ويفصل بيننا ستارة بيضاء ، عيادة الدار ؟ ، رجعت لي الأحداث التي حصلت بكاملها متدافعة ! ، حركت عيوني بعشوائية أبحث فيها عن هديل ، حتى توجهت أنظاري لذلك السرير ، والتي سحبت ستارته الممرضة لما توجهت للمريض النائم فوقه ، مررت الإبرة وغرزتها بالمغذي ثم تراجعت للوراء رأيتها ، نعم هديل مستلقية وغائبة عن الوعي وأحد أقدامها مكسورة ، لمست رداء الممرضة وحسّت علي وإلتفتت ، وبإبتسامة ذكرت : صححت ياعم ، إسترح لان وسابلّغ الدكتور المناوب والمديرة سارة بالأمر ..

بادلتها ابتسامة صغيرة ، تذكرت سارة لما كانت تناديني بهذا اللقب " ياعم " ، أشرّت لها على كوب المياه ، فهمت طلبي وأقتربت لي وقالت : ءءاا تمام ياعم ، إنت ارتاح الآن ولا تحرك أي جزء علوي فيك بحكم أن الكسر ، ساعدتني أن اشرب المياه ثم أكملت : إذا إحتجت أي شيء إضغط الجرس الجانبي وسأكون هنا

سحبت العربة وغادرت الغرفة بهدوء تام ، لففت جسدي تجاه اليمين كي أستطيع أن أرى هديل بشكل أفضل و أيضا احرك يدي وجزئي اليسار المكسور والذي يمنعني من الحركة ، سقطت دمعتي أول ماتذكرت كلام آية وبلحظة خذلاني لـ هديل أوصلتها لهذه الحالة ، الجو ساكن والحركة خلف الشباك الشفاف المطل على الممر هادئ وأعتقدت أن الساعة متأخرة من الليل ، كنت اتأمل أميمة وسباتها العميق وصوت الرياح الخارجية المؤنسة لي والتي كسرت حاجز الصمت الكلّي وخففت من وحشة وظلام الليل ..

لا أذكر كم كانت المدة التي أغفوة فيها من أثر إرهاق المخدر ، لكن لا اتوقع إنها طويلة بحكم إن الليل مازال يغطي المكان ، وبتك اللحظة فتحت عيوني على صوت الباب الذي إنفتح ودخلت العيادة سارة، بخطواتها المغصوبة ناحيتي ، كنت اراقب حركاتها وتصرفاتها الناتجة عن توتر وحسيت بشيء ليس مطمئن داخلي ! ، وبصمت كلّي إقتربت لي وجلست على طرف سريري وذكرت : الشكر للرب إنك بخير ولم يحدث لك أي ضرر بليغ لا أنت ولا هديل ، ما الذي أوصلّكم لقمة السطح يا أدهم ! ، ماتوقعتك

يوم أن تعرّض حياتك وحياة شخص كبير عاقل بالغ مثل هديل معك ! ، سكتت قليلا ثم إنهارت بالبكاء ! ، تبكي وتبكي دون أن أعرف السبب ، تكلمت بصوت مبحوح وقلت : ماذا بك يا سارة ،أعطيتها كل الوقت لكي تهدأ وتستجمع نفسها ، رفعت رأسها بعد كم دقيقة وإلتفتت لهديل ورجعت ناظرت لي وذكرت : تذكّر يا أدهم دائما إني معك و واقفة بجانبك ولن أتركك لـ آخر يوم بحياتي ، وحتى هديل لن تقصر معك ابدا ، وتذكر إنه يوجد الكثير يجعلك تتمسك بالحياة بكل حذافيرها، لاتنسى إنه لديك حفيد ينتظر خروجك من هنا لكي يرتمي بحضن جدّه ، رجعت الرجفة تلعب بحروفها وتمنعها تترتب بالشكل المطلوب ، سكتت وسكت معها لما إكتشفت شيء ماذكرته ضمن حديثها الفوضوي ! ، وبنفس الفترة تسلل لأذني كلام آية وهي تذكر ليلة العزاء الأولى وكلامها الغير مريح ! ، إرتفعت نبرة صوتي مردد إسم خديجة ! ، ذكرت إسم إبنتي لأكثر من مره ولحظة سماع سارة بإسمها زادت بكاء وعرفت إنها ماتت ! ، نعم ماتت وياثقل هذه الكلمة لما تفكر فيها فما بالك لما تذكرها على لسانك ، صرخت بصوتي وصرت أتحرك بكل جهة ، وبالرغم من إن الجبيرة توسعت والكسر بيدي تفاقم ألمه

علي ، بدأت أحرك كل جزء فيا وأصرخ بإسمها حتى تجمعوا من حولي الممرضين ويترأسهم الدكتور الذي أمر واحد منهم أن يعطيني إبرة مخدر لكي أهدأ .

آخر شيء أتذكره قبل أن أنام رؤية هديل والتي فتحت عيونها ومستغربة من الفوضى التي يمر فيها الجميع ، نزلت دمعتي وآخر إحساس مررت بع لما وصلت الدمعة وإستقرّت أسفل خدّي ونمت

عقارب الساعة المتواجدة أمامي تتحرك بسرعة مريبة ! ، لم أحرك عيوني عنها منذ أن صحيت بسبب المخدر الأخير وإمتنعت عن الأكل والكلام ، لا اعرف أنا بـ أي يوم أو حتى ساعة ! ، نهار ولا مساء ، والأهم من هذا كله هل أنا حي ؟ ، الشيء الوحيد الذي يثبت إني حي أنفاسي الثقيلة التي تخرج من داخلي بصعوبة ، واعتقد مرّت أكثر من يومين كاملة بحكم إن ضوء المصباح إشتغل مرتين وبالعادة مايشغلونه إلا بفترة المساء فقط ، وبهذا إستنتجت إن الأيام مشت وأنهيت يومين كاملين على نفس وضعيتي ، عاجز عن الحركة والكلام ، ومسلّط أنظاري تجاه الساعة ، أستطيع أن أشعر بحركة الممرضين والدكاترة من حولي لما يدخلون الغرفة

ويغادرونها ، وأذكر زيارات سارة المتعددة لي والتي نسيت أن أحصيها من كثرتها ، حتى هديل عادت لغرفتها بحكم إني سمعت صوت عكازها الجديد والتي تستخدمه منذ الكسر ، لكن لم تكلمني أو بالأحرى لاحد إستطاع أن يكلمني لا سارة ولا هديل ، بإستثناء الممرضة والدكتور ، ولأول مرة رفعت عيوني ووجهتها للممر و رأيته ! ، واقف خلف الزجاج الشفاف ويتأملني من بعيد ، وبمجرد مارفعت عيوني صرخ ونط بمكانه وغادر المكان ! ، " لم أعرف إني سأتحول يوم لوحش مرعب يخافه ويبتعد عنه الجميع وحتى حفيدي لم يتحمل منظري وهرب " ، حاولت أن أتجاهل موضوع خديجة و لا أتذكره ابدا ، لست مستعد و لست متقبل لموتها ، وعلى أمل إنها تدخل بأي لحظة للعيادة وتساعدني على النهوض وتأخذني ونغادر الدار ، لكن ليس كل مايتمناه المرء يدركه ، رجعت وجهت عيوني للزجاج وإبتسمت لحظة رؤيتها ! ، زوجتي وحبيبتي وعمري وأعزّ ما أملك بدنيتي تناظر لي من بعيد ، أشرت لها بيدي أريدها أن تقترب ، ارجوك ادخلي الغرفة أحتاجك كثيرا ، إنتي الوحيدة التي قادرة تكذبين فكرة موت إبنتك خديجة ! ، وأنتي الوحيدة التي أصدقها ، ادخلي وامسكي يدي ، إنفتح الباب بقوّة معلن عن

دخول شخص بإندفاع شديد وعلى نفس الرتم
توجهت خطواته حتى وصوله وصار يقفز وهو يردد

جدي صحى جدي صحى ، سلّطت عيوني ناحيته ثم
رجعت أناظر للزجاج ولم أجدها ! ، اخخ يا زوجتي ،
قال : هل تعلم ياجدي إني نمت ببيت خالتي سارة
وجد أحضرت لي من الشوكولاته التي أحبها ، ثم
تبدلت ملامحه وذبلت وأكمل : ءءاا جدي ، ماما
ذهبت عند جدتي فوق للسماء وتركتني عند خالتي
سارة أجلس عندها ، ثم رجع يبتسم : لكن انا لم
أحزن لأنها ودعتني قبل أن تغادر من البيت ووعدتني
إنها ستعود وتزورني وانا أثق فيها ومتيقن إنها ستأتي ،
لاتحزن ياجدي سنعيش مع بعض عند خاله سارة ،
هي بنفسها قالت هذا الكلام قبل قليل ، وانا احبها
لأنها تحبني وتدلعني مثل ما تفعل ماما ، إلتفت
لناحية الباب وإبتسم لما دخلت سارة بملامحها
الحزينة وتقدمت حتى وضعت يدها على رأسه ثم
قالت : صح يابطل ، والان أريد أن تنتظرني بمكتبي
سآتي لك ، يجب ترك جدك يأخذ قسطا من الراحة
الليلة سنغادر كلنا من الدار ، وبالفعل ركض ببراءة
لناحية الباب وغادر الغرفة ، قالت لي : كيف حالك
يا أدهم ؟ ، اعتقد الآن لماسمعت كلام أنس الصغير

ستتمسك فيه وتكمل العيش من أجله، وتصبح إبتسامته البريئة هي الدافع الذي تستمد منه فرحتك وهمتك لتكون الجد المثالي له ، ساكت وملتزم الصمت ، وعيوني موجهه لها وهي تتكلم ، كنت سأ نفجر بالبكاء كل الحزن والضيقة المكبوتة بداخلي لكن لم أستطع ! ، سحبت الكرسي وقالت : إستجمع نفسك يا أدهم ، وبنهاية هذا اليوم سينتقل الكل للدار الجديدة ، وأنت وأنس مرحّب بكم في بيتي حتى نجد حل ، ثم نهضت أول ماناداها أحد العمال بحجة إنه سيستشيرها بنقل أغراض أحد الغرف وذهبت معاه

سحبت جسدي الثقيل للخلف بعد أن قررت أن أنهض ، حركت جانبي المكسور ، أنزلت قدماي ولحظة لمسي الأرضية الباردة قشعر جسمي لكن أصرّرت أن أقف عليهم ، جمدت بمكاني وقت ماسمعت صوتها من ورائي وهي تقول بخبث : كيف ستغادر هذا المكان وتظهر امام الناس ؟ ، لهذه الدرجة إبنتك ليست مهمة وليس لها قيمة ؟ ، يامسكين حتى مراسم دفنها مارأيتها ، والمصيبة الكبرى إنك ستغادر وتمثل وستقنع نفسك إنك ستبدأ حياة جديدة ، لكن لا تعلم إن دم خديجة مغطي أيديك ورائحة الجُبن والخوف تفوح منك ،

أنت ضعيف وعجوز وستبقى تعيش بعذاب الضمير حتى آخر يوم بحياتك ! ..

تقدمت بخطواتي العشوائية ناحية الباب ، أريد أن أغادر وأبتعد عن كلامها الدنيئ والمؤلم ، الغضب صار يحاوطني وضاق صدري وأنفاسي تثاقلت ، وضعت يدي على قلبي وتمسكت الجدار وأنا أحاول أن التقط أنفاسي وسط ضحكات أية المستفزة والتي أصبحت تدور برأسي كالأسطوانة دون توقف ، سقطت على الأرض ، بدأت بسّد أذاني وتجاهل كلامها ! ، كل جزء بجسمي صار يرتعش ، تمددت وشعرت بفقداني للوعي ، طيف زوجتي لمحته من وراء الزجاج ! ، وبكل بساطة ذهبت وتوجهت للباب ودخلت العيادة ، إقربت ونزلت لمستواي ومسكت جسمي وسحبتني لحضنها ثم قالت : تذكر يوم ولادة خديجة وفرحتك لما كنت أنا أصرخ بغرفة الولادة ؟ ، وبهذه اللحظة ذاكرتي دفعتني لسنوات طويلة للخلف ، يوم الإنتظار ، إنتظار المولود الأول ! ، كنّا نسابق الزمن لكي نصل للمستشفى ، وبعد حوالي عشر دقائق مليئة بالصرخات والمشاعر المتضاربة و في طريقنا على السرير لغرف العمليات ، في بداخلها لما كنت أمسك يدها والتي صارت تستمد قوتها منها

و بإبتسامتي المريبة التي يملأها الخوف والتوتر ، ومابين آلامها والعرق المنهار من على جبينها سمعنا أجمل صوت ، صوتها الصغير وهي تصرخ أثناء مارفعتها الدكتورة وذكرت بعد ماضحكت : بنت ، الحمد الله على سلامتها ، وأول ما أنزلوها بحضن زوجتي وإحتوتها ثم نزلت وقبلتها وهي تبكي وتقول : لو أعرف أن بعد كل هذا الألم والصراخ يكون هذا الوجه الملائكي كنت سألد كل يوم ، وبعد مرور يوم بالضبط حملتها بين أحضاني للمرة الأولى ثم إلتفت لزوجتي في جناح التنويم وقلت : خديجة ، هذا سيكون إسم جميلتي الصغيرة ..

عدت للواقع وبكيت وبكت وإختلطت دموعنا ، حتى اكملت كلامها وقالت : يا أدهم ، خديجة معي الآن وبالحفظ والصون ، إنتهى دورها في الحياة و تريد منك فقط أن تعتني بولدها وحفيدك ! ، لاتقصر معه وعوضه عن الأيام التي إنحرم فيها من خديجة، كن له الأب والأم والجد ، سيكون أمانة ، وصدقني ستستطيع أنت وهو أن تكونوا سعيدين، إبقى على ثقة تامة إن خديجة ستكون أسعد بكثير ، والآن يا زوجي العزيز إنهض ولا تترك كلام المعتوهة القاتلة يأثر عليك ، تجاهلها فتجاهلك سيكون المفتاح الرئيسي لغضبها ونهايتها بهذا المكان ..

بكلامها أجبرتني أن أستفيق وأفكر بطريقة إنتقام مناسبة لآية ! ، ولوهلة كأني عرفت سبب يجعلها تغضب ، نهضت من على الأرض ، تكلمت من ورائي آية بنفس نبرة صوتها الخبيثة وقالت : ستبقى عار ووجودك بالحياة ليس له فائدة، وحتى حفيدك سيتبرأ منك ، إلتفت لها بإبتسامة مستفزة ومشيت للباب ، والصدمة إن نبرة صوتها أصبحت ترجف وتغيرت ! ، بدأ يرتجف كلامها وقالت بخوف : أدهم ! ، ستذهب وتترك المكان كما تركني الجميع ! ، ءءاا أنا مستعدة أن أعطيك وعد إني لن أئذيك يوم ولا يمسّسك مني شيء فقط اا أرجوك ابقى ! ، ناظرت لها وبخبث وإبتسامة مليئة بالحقد ذكرت : تعفّني بين جدران هذا المكان وأتمنى لروحك الهلاك الأبدي ، صرخت وبدأت تبكي وتترجاني أن أبقى وتطرح علي مميزات جديدة وعلى نفس الرتم مشيت حتى غادرت العيادة أغلقت الباب من ورائي بقوة بعد أن سمعت آخر صرخات روحها المعلّقة ، وأجزمت إنها مستحيل أن تغادر الدار وستتعفّن هنا للأبد ، تسارعت خطواتي لمكتب المديرة وعادت الحياة تدبّ داخلي، فتحت الباب ودخلت ودون مقدمات مسكت حفيدي وضممته لصدري ، سارة تصنمت

بمكانها من المنظر ، تراجعت للخلف خطوة وذكرت : أهلا يا سارة ليس لدي وقت أخسره بهذا المكان وهذه المغادرة ستكون الأخيرة ! ، توترت وصارت تتلعثم لكن مازالت محافظة على إبتسامتها الجميلة وقالت : ءءاا لا مشكلة يا أدهم وأيضا العمّال أكملو تفريغ المكان وتبقى إلا القليل وبدأوا المسنين ينتقلون للدار الجديدة على دفعات ! ، توسعت عيوني وقلت : غادروا المكان ؟ ، وردّت سارة وقالت : ءءاا اعتقد على وشك إنهم المغادرة ، تكلمت بسرعة : تمام إنتبهي على أنس وانا وسأتحقق بنفسي من الأمر ومن سأرجع كي نغادر المكان بأقصى سرعة ! ، ولم أعطيها مجال أن ترد علي بحجة خروجي من المكتب بسرعة ، متلهف ومتحمس على القرار الذي إتخذته وقتها ، هرولت بين الممرات وخرجت للبوابة الرئيسية ، اربع باصات كبيرة متراصّة بجانب بعضها وعلى وشك أن تتحرك ،

زادت الحيرة بداخلي ، لمحت عامل النظافة واقف مع رجل الأمن وصرخت إلى أن سمعني وأتى لناحيتي وذكر : أدهم ! ، أنت مالذي أتى بك لهنا..... لم أتركه يكمل وقلت : ليس مهم ! ، سسألك هديل بأي باص هي موجودة ؟ ، يحك ذقنه بتفكير ثم ذكر :

ءءاا أعتقد إنها بذلك الباص على حد علمي لمحتها تركبه قبل قليل ، وكان يأشر على واحد منهم ، أعطيت له عكازي وقلت : دعه معك اعتقد أني لا أحتاجه ، تحاملت على إصابتي ومشيت حتى صعدت على الدرج ، عيوني تتحرك بعشوائية ناحية الركّاب ، حتى أستقرت على هديل , متواجدة على الكرسي الأخير ولوحدها وتتأمل الدار ودمعتها على خدها ! ، واول ما لمحتني عدلت من جلستها ومسحت دمعتها وقالت : ءءاا ادهم ! ، هنا ! ، ودون مقدمات قاطعت عليها الأسئلة وقلت : هديل ، لن أتركك تغادرين الدار هذه للدار الجديدة التي تكون السد المنيع إننا نتقابل بحرية ، وعلى هذا الأساس تذكرت كلامك لي فوق سطح البناية وإطرائك ووقفاتك معي والتي أنحسد عليها ، سكتت ثم أكملت كلامي وقلت : أتمنى لك حياة سعيدة وسأزورك في القريب العاجل ... نزلت من الباص و أنا تائه بين الحاضر والمستقبل ، حاضر قد أرهقني بأحداثه ومشاكله واصبح وزر ثقيل أحمله على أكتافي ففيه سجل أخطائي وخطاييا ، فحياة تمضي ، وأخرى تبدأ ، ثم تمضي الثانية لتحل محلها ثالثة ، وهكذا إلى غير نهاية ، النهايات كلها تشبه أن تكون مقطوعة بمقص ، وكل هذا كلام معاد و مكرر أقوله

لنفسي . أما عن مستقبل فهو غامض يحمل الكثير ، يحمل فرحة صغيري أنس المقبل على الحياة المرة بإبتسامة بريئة ، يحمل خوف جده أن يخفقك في أداء الأمانة التي وعد بتأديها بكبر سنه لكنني أيقنت أن المحرك الجبار الذي يدفع العالم للأمام ليس قصص الحب السعيدة و العائلات المثالية ، بل تلك التي إقترنت بل المآسي .....

الخاتمة:

وحيدون ومعزولون ويعصف بهم الاكتئاب.. عندما يغدر الأبناء والزمن بكبار السن.....

أمرنا الإسلام بمراعاة كبار السن وذكرهم في القرآن الكريم فقال تعالى "ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة" صدق الله العظيم، وهنا يخبرنا الله سبحانه وتعالى كم يكون الإنسان عند بلوغ سنة في الكبر، وكيف يكون ضعيفًا ويجب علينا في الإسلام أن نرحم هذا الضعف ونحترمه ووردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تُبيّن فضل كبير السن، وأنّ الخير كلّه مع الأكابر، والبركة مع كبار السن، ولا يزداد المؤمن في عمره إلّا كان خيراً له، ويجدر بالذكر أنّ الإسلام عدّ البر والإحسان إلى كبار السن أحد المكارم العظيمة، وأحد أعظم الأسباب التي تقود إلى التيسير والبركة، وتمحو الفتن والبلايا، وتقود إلى حدوث الخير والبركات المتتالية في الدنيا والآخرة، حيث يقول نبينا الكريم صلّى الله عليه وسلّم: (هل تُنصرونَ وتُرزقون إلَّا بضعفائكم)

تمت بحمد الله.